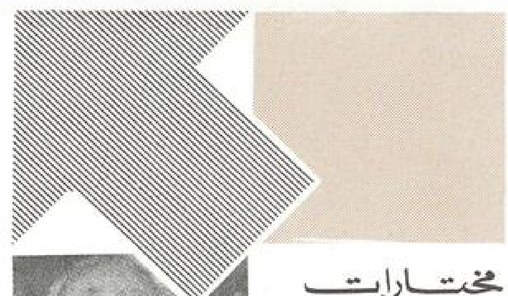
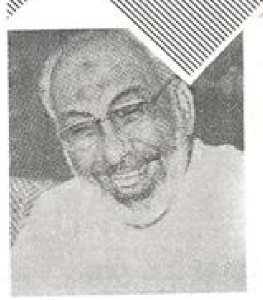


مختارات
ثقافية حية
من الصحف
العربية القديمة





الكلمة الحيّة لا تموت
بل تزداد جمالاً مع الأيام

فلسطين ثلاثة رجال

بقلم: محمود محمد شاكر

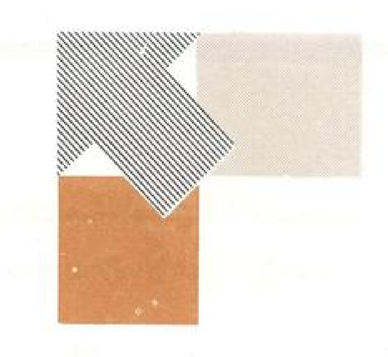
أحب أن أقدم بين يدى كلامى هذا كلمة أو كلمتين لابد منهما : الأولى ، أن أبتهل إلى الله أن يبرىء قلوبنا من الجبن والخور والبخل ، وأن يؤيدنا بالصبر والقوة ، وأن يرفع عنا غضبه ومقته ، فقد كتب علينا الجهاد فى سبيله بما استطعنا . وأحب لكل كاتب وقارىء أن يتوب إلى الله مما اكتسب من إثم يده أو قلبه أو لسانه ، ليتجرد إلى الجهاد وهو طاهر مصمم لا تلفته الدنيا عن الدفاع عن الحق .

والثانية : أنى كنت كتبت عن قضايا العرب وعن فلسطين ، فكنت لا أزال أذكر الاسلام وأشفعه بذكر نصارى الشرق ، لأنى أعدهم منا ومن أنفسنا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا . وكنت أرى أن نصارى الشام والعراق قد بذلوا من الجهود فى قضايا العرب ما صرح عن مكنون أنفسهم وعن إخلاصهم الذى لا يدفع ، وأنهم جزء لا يتجزأ من العالم العربى ومن العالم الاسلامى ، وكنت أتخوف أن يقف قبط مصر مترددين عن المشاركة الصريحة فى جهاد العرب والمسلمين فى مسألة فلسطين ، ولكنى أشهد الله اليوم أن قبط مصر قد ملأوا قلوب العرب والمسلمين غبطة بهم وإكباراً لهم ، وحرصاً على مودتهم لن يعمل فيه بعد اليوم دس ولا كيد ولا وقيعة . إنه لا يحل لإمرىء مسلم أو عربى بعد اليوم أن يرتاب أو يتشكك فى نبل هؤلاء الاخوان الذين نصرونا فى ساعة العسرة لا تدفعهم إلى هذه النصرة رغبة ولا رهبة .

وسأسجل فى هذه الكلمة مأثر لرجلين من أجل النصارى شاناً ، لأنهما وقفا فى الجهاد موقفاً يوجب علينا أن نخلد ذكرهما فى تاريخ العرب وتاريخ المسلمين ، ولا سبيل إلى جزاء هذين الرجلين إلا بأن نرفع ذكرهما فى هذه الساعة وإلى أبد الدهر ، لأنهما قطعا السبيل على كل خبيث من شياطين السياسة القذرة التى انبعثت فى أوروبا وأمريكا ، وعلى شياطين اللؤم الصهيونى الدنىء .

أما الأول فهو الشيخ الجليل الصادق غبطة بطريرك الاقباط الارثوذكس الانبا يوساب ، فقد اجتمع المسلمون والعرب فى المسجد الجامع الأزهر فى يوم الجمعة ٢٢ المحرم سنة ١٣٦٧ ، فاذا الناس يفاجاون بمقدم القمص متياس الانطونى سكرتير غبطته مندوباً من قبله ، ومعه إخوانه من رؤساء الأقباط فى مصر ، القمص جرجس إبراهيم رئيس الكنيسة القبطية الكبرى ، والقمص عبد المسيح سعد ، والقمص مرقص غالى . ودخول هؤلاء الأربعة الكرام إلى المسجد الجامع فى ساعة الجمعة ، ونيابتهم عن غبطة البطريق الاعظم فى شهود هذا اليوم المشهود ، وخطبتهم الناس فى هذا المسجد ، ومشاركتهم فى أكبر مؤتمر إسلامى فى مصر ، قد دل دلالة صريحة على أن الانبا يوساب البطريق الأعظم ، هو رجل قد نور الله قلبه بالحق ، وآتاه من الفطنة والصدق والامانة فى دينه وخلقه ما يجعل عمله هذا أمانة فى عنق كل مسلم وعربى ، يحميها ويدفع عنها ويعتز بها ويكرم أصحابها فى عامة أمورنا وخاصتها . وقد فعل ذلك من تلقاء نفسه غير متردد ، فعل ذلك على أنه رجل سياسى مخلص ، وعلى أنه يدرك تمام الادراك كل ما يحيط بهذا الفجور الصهيونى من الخبائث ، وعلى أنه يأبى أن يدخل بين أقباط مصر ومسلميها مفسد يبغى الوقيعة.

ومن قبل ما وقف هذا البطريق الاعظم موقفاً رد كيد البريطانيين فى نحورهم ، وذلك فى حادثة الزقازيق التى دبرتها بريطانيا لافساد ما بين المسلمين والاقباط ، فلولا حكمة هذا الرجل النبيل ، لكان هذا الحادث البغيض سبباً فى اشتعال نار الفتنة التى أشعلت بريطانيا مثلها من قبل لتفرق كلمة الأمة تفريقاً يجعل بعضاً لبعض عدواً . ونحن نحمد الله إذ جعل فى إخواننا القبط رجلا كهذا الرجل الجليل ، يقف حارساً يقظاً على أمته وأمتنا ، يرد عنها كل مكيدة . وما دام فى الأقباط هذا الرجل وأمثاله ، فالمسلمون والعرب جميعاً لا يبالون بعد اليوم أن يبذلوا مهجهم فى الذود عن إخوانهم ، وفى حمايتهم ، وفى الدفع عن كل شىء يسوءهم ، ما بقى على ظهر





فلسطين ثلاثة رجال

هذه الأرض مسلم يؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر . إنه دين فى أعناقنا للقبط ، نسأل الله أن يهبنا القدرة على ادائه وإن ابؤاهم أن يقبلوا عن هذه المأثرة جزاء .

وأما الرجل الآخر فهو كصاحبه يتلألأ قلبه بنور الاخلاص والايمان ، تكلم فابان عن نفس حرة افزعت « اليهود المسئولين فى مدينة الاسكندرية » اى يهود مصر ،

فاقبلت طائفة منهم تريد أن تثنى هذا الرجل الجليل عن إذاعة حديثه ، فاجابهم بانه ما قال إلا وهو يعتقد أنه قول صريح سليم ، وليس إقحاماً للدين فى السياسة ، وإنه يقصد حماية التراث المقدس للمسيحية ، وانه إنما يتكلم عن عقيدة وإيمان بما يقول . ذلكم هو الرجل النبيل غبطة البابا كريستوفورس الثانى بطريرك الاسكندرية وافريقيا للروم الأرثوذكس .

وقد جاء فى هذا الحديث أن غبطة البطريق الأعظم للروم قد دهش لانشاء دولتين فى فلسطين ، ودهش أيضاً من أن تكون أمريكا والاتحاد السوفيتى هما الداعيتين إلى هذا التقسيم ، ثم قال :

« وإنه لتزداد دهشتنا أن تعمد الولايات المتحدة الأمريكية الى هذه المحاولة الجريئة رغم أحداث التاريخ الدالة على فساد هذه الفكرة وخطرها . لهم العبرة فيما حاوله الامبراطور جوليان الرومانى .

ولا ندرى كيف فكرنا فى وضع الأراضى المسيحية المقدسة فى حماية اولئك الذين رغبوا دائماً ، جماعات وافراداً ، فى أن يعيشوا حتى يروا اليوم الذى لا يسمع فيه ذكر للمسيح . وهل يستطيع إنسان أن يتصور اليهود حرساً وحماة للأمكنة المقدسة . وهم الذين سيعمدون الى تدنيسها بمجرد السيادة فيها ؟

« ونحن نرى ايضاً أنه لا يمكن ان يسمح للفاتيكان أن تكون له السيادة فى فلسطين فان الحروب الصليبية قد برهنت على فساد هذه الفكرة . ولهذا فاننا نحن الروم الأرثوذكس نرى انه فى حالة إلغاء الانتداب الدولى على الأراضى المقدسة ، أو عدم وجود دولة عربية مكان هذا الانتداب ، أن تعطى للمسلمين حماية هذه الأراضى ، لأنهم منذ مارسوا حكمها فى هذه القرون الطويلة ، قد برهنوا على أنهم جديرون بثقتنا » .

وهذا كلام اقل ما يقال عنه إنه كلام رجل مؤرخ عالم بصير لا يدفعه إلى ما يقول هوى لشىء ولا رهبة لمكروه . فان غبطة البابا كريستوفورس قد قضى طفولته فى فلسطين ، وقد عرف بنفسه شعور اليهود ضد العرب وضد الأرض المقدسة ، كما قال متكلم بلسان البطريركية الرومية .

وقد اثبت حديث البطريق الأعظم لانه سوف يصبح هو وقائله جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الاسلام ، ولاننا نحن المسلمين نحب المنن فى أعناقنا فنحافظ عليها ونرعاها وندافع عنها ونجزيها احسن الجزاء . إن حديث هذا الشيخ الأجل سوف يصير قطعة من تاريخنا يرويه أربعمئة مليون عربى ومسلم فى مشارق الأرض ومغاربها ، وهو حديث يفسر كل ما كنا نقول به من أن مشايعة الدول الأوربية والأمريكية للصهيونية الفاجرة ، قائمة على الصليبية الحمقاء . فهم يحاربوننا حرباً صليبية لا يستثنون فيها مسلماً ولا نصرانياً فى الأرض الاسلامية والعربية وقد كان بعض الناس يعيب علينا هذا الرأى ، ولكن حديث البطريق الأعظم قد كشف الغطاء عن كل ذلك ، ومهد للتاريخ أرضاً جديدة يدرس فيها هذا الصراع بين أهل الشرق العربى الاسلامى من مسلمين ونصارى ، وبين الغرب الصليبى من نصارى ويهود .

ولكن نصارى الشرق غير نصارى الغرب ، فهؤلاء قوم ملئت قلوبهم أحقاداً صليبية مظلمة لا عقل فيها ولا ضمير لها ، أما نصارى الشرق فهم يعرفون تمام المعرفة أن نصارى الغرب قوم مفترون جاهلون متعصبون يريدون أن يدنسوا هذه الأرض المقدسة باليهود عدواة للمسلمين غير ناظرين إلا بالعين الصليبية البغيضة ، لا بعين الانصاف والحق كما ينظر نصارى المشرق . وحسبنا هذا البيان من البطريق الأعظم ، فانه حسنة لن ينساها له مسلم إلى أن تقوم الساعة .

وقبل ان انتهى إلى ذكر الرجل الثالث أحب أن أنبه القارىء ، وأنبه قومى العرب فى كل مكان ، وفى مصر خاصة ، إلى انه ما كاد « يهود مصر » يعلمون نبأ إذاعة هذا الحديث فى الصحف حتى تبادروا إلى غبطته يريدون أن يثنوه عن نشره وإذاعته فما معنى هذا الذى يفعله اليهود الذين خلعنا نحن عليهم الجنسية المصرية ؟

وماذا تقول حكومتنا فى هؤلاء القوم الذين يريدون أن يكونوا أعواناً للصهيونية فى قلب بلادنا فى هذه الساعة ؟ او يحدث هذا فى مصر فى الأسبوع الماضى ، وإذا بنا يقرأ اليوم (٨ ديسمبر سنة ١٩٤٧) أن الشرطة العراقية القت القبض عند الحدود العراقية السورية على ثلاثة يهود عراقيين من موظفى شركة الزيت العراقية ومعهم جهاز إرسال لاسلكى . فما معنى هذا ؟ ليعلم اليهود أن العرب لن يقبلوا أن يكون للطابور الخامس عمل فى بلادهم .

وننتهي من هذا التعليق لنضم إليه خبر الرجل الثالث الذى ينبغى أن يعرفه العرب والمسلمون ، فقد أفضى سيادة حاييم ناحوم افندى الحاخام الأكبر للطائفة الاسرائيلية فى مصر بالتصريح الآتى :

« إنى أرى أن مركزى بوصف كونى رئيساً دينياً وروحياً لأبناء الطائفـــة الاسرائيلية ، يحول بينى وبين الخوض على صفحات الصحف فى أى مناقشات مهما كان نوعها أو الغرض منها . ولكن إزاء كثرة ما وجه إلينا من أسئلة واستفهامات أرى أن واجبي يحتم على ان اتوجه إلى السائلين وإلى جموع الأمة المصرية الكريمة بكلمة أرجو أن تكون حداً فاصلا لهذا الموضوع : فابناء الطائفة الاسرائيلية التى أتشرف برياستهم الدينية هم جزء لا يتجزأ من الأمة المصرية ، يشعرون بشعورها ويتألمون لآلمها . فكيف إذن يحاول البعض التشكيك فى عواطفهم نحو أبناء بلدتهم المصريين . إن دستور البلاد يكفل لنا جميع الحقوق الممنوحة لابناء مصر الكريمة سواء بسواء ، ولذلك فان واجبنا نحـو بلادنـا يجعلنـا نعمـل بشـعورنا كمصريين . وقد أصدرت أمرى إلى رجال الكنائس الاسرائيلية باقامة الطقوس الدينية ليعظوا فيها ابناء الطائفة على أن يتضافروا مع إخوانهم المصريين فى هذا الظرف العصيب » .

ونحن نشكر الحاخام الأكبر ، ولكن ليعلم سيادته انه قبل أن يتوجه إلينا بكلام يكون « حداً فاصلا ينبغى أن يعمل هو وابناء طائفته عملا يكون « حداً فاصلا » ، وهذا مع الأسف لم يحدث قط ، واخشى أن أقول إنه لن يحدث قط . ثم ليأذن لنا سيادته أن نوجه نظره الكريم إلى الذى ذكرناه وذكرته الصحف ولم يستنكره احد مـن يهـود مصر ، وهـو ذهـاب بعض المسئولين من اليهود فى ثغر الاسكندرية كى يثنوا البطريق الأعظم للروم الأرثوذكس عن إذاعة حديثه . أهذا أيضاً إقحام للدين فى السياسة .

وليأذن لنا سيادته أن نقول له إننا نعيش فى أرض مصر ، واليهود يعيشون معنا فيها لا فى المريخ .

وليأذن لنا سيادته أيضاً ان ننبهه إلى أن هذه الساعة التى جاش فيها العالم الاسلامى والعربى ، ليدفع عن فلسطين الجور الذى أرادت هيئة « الأمم المتحدة » التى تصرفها روسيا وأمريكا وبريطانيا ، هى ساعة فاصلة فى تاريخ العرب والمسلمين ونصارى الشرق جميعاً ، وليأذن لنا أن ننبهه أيضاً أن النار المشتعلة الآن تفصح كل الافصاح عن المعنى الذى ينطوى عليه تقسيم فلسطين ، فكيف ذهب عن فطنـة سيادته أن يذكر كلمة واحدة صريحة تفصح أيضاً . كل الافصاح عن استنكاره واستنكار طائفته لهذا التقسيم الجائر الذى ارادت أن تفرضه على العرب هيئة الأمم المتحدة ؟

وليأذن لنا سيادته أيضاً أن ننبهه إلى أن الصهيونية تدعي أنها تتكلم باسم يهود العالم جميعاً ، وأن جميع الدلائل إلى اليوم تدل على أن كثرة يهود العالم منضمة إليهم ، فما هو الضمان الذى يقدمه لنا سيادته حتى تطمئن قلوبنا إلى أن يهود مصر ليسوا كيهود سائر العالم ؟

وليأذن لنا سيادته ايضاً أن ننبهه إلى أن الصهيونية قد أذاعت منذ القديم أنها تريد أن تستولى على أرض اسرائيل كلها من الفرات إلى النيل ، وأن هذا مطبوع منشور فى كتبهم ، وأنه حين ذاع نبأ التقسيم وقف مفلوك صهيونى يستنكر التقسيم ثم يرضى به على مضض ، لأنه الخطوة الأولى التى تفضى إلى استيلائهم على أرض بنى اسرائيل كلها من الفرات إلى النيل . وأنا لا أظن أن مثل هذا مما يغيب عن الرجل الفاضل العالم احد أعضاء المجمع اللغوى العربى .

وليأذن لنا سيادته أن نذكره بوصية الله لنا فى محكم تنزيله إذ يقول : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، فالمسلمون والعرب جميعاً سوف يقاتلون من يقاتلهم من الصهيونيين ، أما سائر اليهود فلن يعتدي عليهم مسلم ولا عربى ما داموا فى ذمتنا ولا يؤلبون علينا . فهل يأذن سيادته بأن يعلم أن المسألة ليست مسألة سياسية تريد أن نقحم الدين فيها ، بل هى مصير العرب والمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ؟ وهل يأذن لنا أن نسأله أن يدفع عن يهود مصر كل شك وريبة بأن يصدر بياناً صريحاً عن موقف يهود مصر فى مسألة التقسيم ؟ وهل يأذن لنا سيادته أن نطالبه ونطالب أبناء ملته من يهود مصر بأن يفعلوا فعلا صريحاً واضحاً يدل على أن عواطفهم هى عواطف الأمة المصرية تشعر بشعورها وتتألم بألمها ؟ وهل يأذن لنا سيادته أن نقول له إن هذا الذى يجرى الآن ليس « ظرفاً عصيباً » كما جاء فى كلامه ، بل هو أوضح من ذلك ، هو حرب بيننا وبين يهود العالم وكل من يناصرهم من الأمم ، وأنها حرب سوف تستمر إلى أن يستقر الحق فى قراره ولو طالت مائة عام ؟ أفليس من الحكمة إذن أن يتخلى الحاخام الأعظم عن العزلة التى يريدها لنفسه ، ويدخل هو وأبناء طائفته فى الجهاد الذى كتب علينا نحن العرب من مسلمين ونصارى ويهود لكى ندفع عن بيت المقدس أدناس الصهيونية ؟

هذه كلمة مجاهد عربى يتقدم بها إلى الحاخام الأعظم تعليقاً على حديثه الذى سوف يبقى مذكوراً فى تاريخ الاسلام والعرب لم أعمد فيها إلى شرح أشياء أعرفها حق المعرفة ، انتظاراً لما يكون من عمل سيادة الحاخام- الأكبر وليعلم سيادته أن الأحداث أسرع من لمحات البرق فى السحاب المتراكب . فليبادر إلي الأخير مبادرة من عرف الحق فلم يحجم به عن الجهاد خوف ولا فزع ولا ارهاب . ان عمل الحاخام الأكبر هو «الحد الفاصل» الذى ينتظره اليوم أربعمئة مليون مسلم قد استيقظوا وأدركوا أن يهود العالم قد أعلنوا عليهم الحرب فلن يخدعهم بعد اليوم شيء عن الطريق الذى سار فيه آباؤهم من قبل فنصرهم الله وأيدهم وهزم أعداءهم وأعلى كلمتهم وجعلهم خير أمة أخرجت للناس .

محمود محمد شاكر
١٩٤٧

طبّق الآفاق ميمون الخطا وعلى الدهر تَمشَّى الخيلاء
وأعاد الكون بالبشرى فتى رائع الغرة لماح الرواء

* * *

صبّح الهادين سعداً شاملاً ورمى العادين بالخطب العياء
زلزل الشرك على أنصاره فاستوى الحق عليها فأضاء
يومك المشهود يا خير الورى غرة التاريخ عيد الحنفاء
لم يظل الناس يوماً قبله ملأ الأفواه حمداً وثناء
وجرى كل لسان مقول فيه شوطاً وتبارى الخطباء
جاءنا يحمل فى أطوائه سيرة المختار زين الأنبياء
فمشت فى كل روع هزة جَلَّ من فجَّر ذياك الضياء
يا أبا الزهراء ما مثلى وقد خانه المنطق يجزى الكبراء
آية الله تعالى قدرها تفحم الشعر وتعيى الفصحاء
لك فى كل جنان هيبة ألفت بين قلوب الأتقياء
أنت من أسرار ذى العرش التى . لا يواريها مدى الدهر الخفاء

* * *

ربّ إنى واسلٌ بالمصطفى فتقبل من مرجيك الدعاء
هَيِّئِ الغوث لقوم أسرفوا فى الخطايا واهتدوا بالأشقياء
إن قومى ظلموا أنفسهم وتظنوا فى الأضاليل النجاء
جعلوا دينك ظهرياً ولم يسمعوا من جانب الحق النداء
رغبوا عن سنة الهادى فهم إن علا صوت المنادى غرباء
وهمُ فى كل أرض وحمى مركب للذل ما فيهم غَناء
خذلوا الأخلاق وانهالوا على زخرف الدنيا فعاشوا ضعفاء
أيها القوم اذكروا تاريخكم إن فيه عبرة للبصراء
أين ماشاد لنا آباؤنا ؟ أين ما قد خلفته الخلفاء ؟
أين آثار الميامين الأولى ينسب العز إليهم والسناء ؟
أين للاسلام ملك باذخ كالرواسى حصنته الكبرياء ؟
درج الدهر على أعيانه فانطوى إثرهمُ ذاك اللواء
وبقينا خلفاً فى أرضهم أحمدوا السلوان واختاروا الثواء
ضل قوم ضيعوا الميراث أو سدلوا جهلاً على الماضى غطاء

(حمص) رفيق فاخوري

انتظِرى بُغْضى . . .

للأستاذ محمود محمد شاكر

حَبَبْتُكِ ، والأوْهَام فِكْرِى وحُجَّتى
تُؤَلِّبُ بَغْضِى — فى هواكِ — على بعضى
إذا ما نقضْتُ الرأىَ بالرأىِ ، رَدَّنى
ـ إلى خطراتِ الوهم ـ مضٌّ على مضّ
أصارعُ أهوالاً من الغيظِ والرِّضَى وما يتولَّى الغيظَ فوقَ الذى يُرْضى
عجبتُ لمنْ راضَ النِّساءَ ورُضْنَه ويقضينَ من إيلامِهِ دون ما يقضى
ويَرْمِينه بالسَّهم ليس بضائرٍ ،
ويَرْمى بما يَحْمى الجفون عن الغُمضِ
فكيف به قد ذَلَّ وَهُو مُكَرَّمٌ
وأغْضَى ولو قَدْ ناصبَ الدهرَ لم يُغْضِ !
كفى بك ذُلاًّ أنْ تبيتَ على جَوًى
وتُصبِحُ فى ذكرى ، وتُمْسِى على رَمْضِ
كأنك لم تُخْلَقْ لِدُنْيا تَجُوبُها !
وما أضيَقَ الدنيا من الحَدَقِ المُرْضِ !
فهُنَّ اللواتِى زدْنَ فى العيشِ لذَّةً فأقصَيْنَ لذَّاتٍ من الفرحِ المَحْضِ

شككتُ ، وقد تُنْجِى من الشَّرِّ ريبةٌ
وتُبْدِلُ مُسْوَدَّ الخطوطِ بمُبْيَضِّ
لقد كنتُ أُمضى طائعاً غيرَ جامحٍ وأرضَى بإطراقٍ على الرِّيْبِ أو غَضِّ
ويفضَحُنى فيك اقتحامى وغَيْرتى
وطرفى وما جَسَّ الأطباءُ من نبضى
ويأكُلُ قلبى ما أُكتِّمُ راضياً . .
فما بكتِ العينُ الشبابَ الذى يمضى . !
وأنتِ . . ! لعمرى فى سرور وغبطة
يَسُرُّكِ بسطى فى الحوادث أو قبضى
أأنثى ووحشٌ ؟ جلَّ خالقُ خلقه !
وسبحان كاسى الوحش من رونق غَضِّ !